كتاب الطالب

6 مباحث في علم القراءات

الصف السادس الإقرائي

سنة الطبع ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
قسم المناهج والتطوير

مباحث في علم القراءات

الجُـزء الثَّالث

الصَّف السَّادس الإقرائي

كِتَابُ الطَّالِب

6

تأليف لجْنَة القراءات القرآنية

١	أ.م.د عمار الخالدي	رئيساً
٢	أ.م.د عثمان راشد مجيد	عضوًا
٣	د. فلاح عبد محمد	عضوًا

التصميم والإشراف الفني على الكتاب

٤	أ.م.د٠ علي سعيد حمادي	عضوًا ومُشرفاً فنياً ومُصمماً

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الوحدة	الموضوع	الصفحة
الوحدة الأولى	علم توجيه القراءات	٢
الوحدة الثانية	في أحكام مهمة	١٣
الوحدة الثالثة	أثر القراءات القرآنية في العلوم الأخرى	٣٤
الوحدة الرابعة	القراءات القرآنية وعلاقتها برسم المصحف والوقف والابتداء	٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدّمَةُ قِسْم الْمَنَاهِجِ وَالتَّطْوِير

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، ونشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً..

أمّا بعد:

فإنَّه يَسرُّ قسم المناهج في دائرة التعليم الدينيّ والدراسات الإسلامية أحد تشكيلات ديوان الوقف السنيّ في جمهورية العراق أن يقدم هذا الكتاب إلى طلبتنا الأعزاء في الصف السادس من الدراسة الإعدادية وهو عبارة عن مباحث مختارة في علم القراءات القرآنية، وبعد عرضه على الخبراء المختصين في هذا العلم الذين أوصوا بصلاحية تدريسه لاشتماله على المفردات المنهجية المتوخاة للنهوض بالمستوى العلمي لطلبة المدارس الإقرائية، وبناءً عليه تمت المراجعة العلمية واللغوية للكتاب وإعادة تصميمه وتنضيده من قبل قسم المناهج والتطوير، لِيُسْهم هذا الكتاب بإعداد جيل واعٍ متسلح بما يقوي فيه روح الانتماء إلى تاريخه المجيد، ويبعث فيه الهمَّة إلى بناء مستقبل أفضل.

فنسأل المولى عَزَّوَجَلَّ أن يكلأهم بعنايته، ويأخذ بأيدينا جميعًا إلى ما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب.

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قِسْمُ الْمَنَاهِجِ والتَطوير

الوحـــدة الأولى
علم توجيه القراءات

بعد الإنتهاء من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادراً على أنْ:

١. يعرّف التوجيه لغة واصطلاحًا.
٢. يحدد زمن نشأة هذا العلم.
٣. يحدد أول من ألّف في علم التوجيه.
٤. يعدد الكتب المختصة بعلم التوجيه.
٥. يعدد فوائد علم التوجيه.
٦. يعرّف معنى الأصول.
٧. يشرح معنى الاستعاذة.
٨. يعلل عدم ورود البسملة في سورة التوبة.
٩. يوجّه قراءة الوصل والسكت بين السورتين.

الدرس الأول

علم توجيه القراءات القرآنية

تعريف علم توجيه

التوجيه في اللغة: مصدرُ الفعل (وَجَّه)، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيء، والوجه مستقبِلٌ لكلِّ شيء... ووجَّهت الشَّيءَ: جعلتُه على جهة).

ومنه: وجّه وجهَ الحجر، أي: دبّر الأمر ووجّهه على الوجه الذي ينبغي له.

واصطلاحًا: لم يرد في كتب الأقدمين تعريفًا خاصًا لعلم التوجيه، إذ لم يزد الزركشي (ت٧٩٤هـ) عن قوله: (هو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها).

ولكن عرّفه بعض المعاصرين، ومن ذلك:

تعريف الدكتور أحمد سعد محمد، إذ قال: (هو فن يعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها والإيضاح عنها).

وفصّل الدكتور أحمد عمير؛ فقال: (هو الاحتجاج للقراءات، والتماس الدليل لقراءة كل قارئ من القراء، وذلك إمَّا بالاستناد إلى قاعدة مشهورة في العربية، أو بالتماس علّة خفية -بعيدة الإدراك- يحاول اقتناصها، أو توليدها، أو بالاعتماد على القياس، وحشد النظائر، ومقارنة المثيل).

التعريف المختار

والتعريف المختار لهذا الفن: (هو علم يعرف به الوجه الذي أتت به الرواية، وأثر ذلك من جهة التفسير والنحو والصرف والبلاغة والفقه والعقيدة).

ملاحظة

يُطلب مِنَ الطالب حِفظ التعريف المُختار فقط.

ومن أشهر المصطلحات المرادفة لعلم توجيه القراءات، والتي أُخذت من أسماء الكتب المؤلفة في ذلك:

١ **الاحتجاج:** ومنه كتاب (حجة القراءات في القراءات السبع)، للحسين بن حمدون المشهور بـــ(ابن خالويه)، (ت٣٧٠هـ)، وكتاب (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ).

٢ **معاني القراءات:** ومنه كتاب (معاني القراءات) لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ).

٣ **إعراب القراءات:** ومنه كتاب (إعراب القراءات السبع وعللها) لأحمد بن محمد بن نصر ابن خالويه الأصبهاني (ت٦٠٣هـ).

نشأة علم توجيه القراءات

إنّ علم التوجيه أول ما بدأ اجتهادات فردية من كبار الصحابة الذين عاصروا نزول الوحي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ذلك ما ذكره الفرّاء (ت٢٠٧هـ) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ (البقرة:٢٥٩)، فقال: (وقرأها ابن عَبَّاس (نُنشِرُها)، إنشارها: إحياؤها، واحتج بقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[عبس:٢٢]).

فنجد أنّ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد وجّه قراءة (نُنْشِرُها) بالراء بالإحياء بعد الموت.

وعن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا أنه قرأ قد (كُذبوا) بالتخفيف عند قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾(يوسف:١١٠)، ووجّهها: بأنّ الرسل كانوا بشرًا وضعفوا عندما تأخر عنهم النصر، واستدّل بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤).

وقد ردّت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك فيما أخرجه البخاري بسنده عن ابن

شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَهُ وَهُوَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: «كُذِّبُوا» قلت: فقد استيقنوا أنَّ قومهم كَذَّبُوهُمْ فما هو بالظن؟ قالت: «أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك» فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبُوا، قالت: «معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها» قلت: فما هذه الآية؟ قالت: «هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر؛ حتى إذا استيأس الرسل ممن كَذَّبَهُمْ من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبُوهُمْ، جاءهم نصر الله عند ذلك»

أسئلة المناقشة

س١: عرّف علم التوجيه لغة واصطلاحاً.

س٢: عدد المصطلحات المرادفة لعلم التوجيه.

س٣: هل كان التوجيه موجوداً في زمن الصحابة والتابعين؟ وضّح ذلك.

التأليف في علم التوجيه

المؤلّفات في علم توجيه القراءات

إن أول من ألف في علم التوجيه: موسى بن إبراهيم الأعور، كما نُقل ذلك عن أبي حاتم السجستاني، حيث قال: أنّه أول من سمع وجوه القراءات في البصرة، وألّف فيها وتتبع الشاذ منها، فعلى هذا يُعدّ (موسى بن إبراهيم الأعور) أول من أفرد كتابًا مختصًا في توجيه القراءات، وما كان قبله فهو منثور في كتب التفسير والنحو.

المؤلّفات في علم توجيه القراءات

تنقسم المؤلفات -الموجودة بين أيدينا- إلى قسمين:

أولا: الكتب غير المختصة بالتوجيه:

وأكثر ما توجد في كتب التفسير، وكتب النحو، وكتب معاني القرآن، وشروح الشاطبية:

أمّا كتب النحو واللغة:

١. (الكتاب) لسيبويه (ت١٨٠هـ).
٢. (إعراب القرآن) للنحاس (ت٣٣٨هـ).
٣. (مشكل إعراب القرآن) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).
٤. (شرح الرضي على الكافية) للاستراباذي (ت٦٨٦هـ).
٥. (شذور الذهب) لابن هشام (ت٧٦١هـ).
٦. (التبيان في إعراب القرآن) لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ). وغيرها.

كتب معاني القرآن:

١. (معاني القرآن) للكسائي (١٨٩هـ).

٢. (معاني القرآن) للفراء (ت٢٠٧هـ).

٣. (معاني القرآن) للأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ).

٤. (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت٣١١هـ).

٥. (معاني القرآن) للنحاس (ت٣٣٨هـ).

كتب التفسير:

١. (جامع البيان في تأويل القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

٢. (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي (ت٣٧٥هـ).

٣. (الكشف والبيان) لأحمد بن محمد الثعالبي (ت٤٢٨هـ).

٤. (النكت والعيون) لأبي الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ).

٥. (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٦. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية (ت٥٤٦هـ).

٧. (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت٦٧١هـ).

٨. (البحر المحيط في التفسير) لأبي حيان (ت٧٤٥هـ).

٩. (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ).

١٠. (التحرير والتنوير) لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ). وغيرها.

كتب شروح الشاطبية:

١. (فتح الوصيد في شرح القصيد) لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ).

٢. (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) لمحمد بن حسن الفاسي (ت٦٥٦هـ).

٣. (إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع) لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ).

٤ (كنز المعاني شرح حرز الأماني) لمحمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ (شعلة) (ت٦٥٦هـ).

٥ (كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني) للجعبري (ت٧٣٢هـ). وغيرها

الثاني: الكتب المختصة بالتوجيه:

١ (إعرابُ القراءات السبع وعللُها) لأبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت٣٧٠هـ).

٢ (الحجة في القراءات السبع) لأبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت٣٧٠هـ).

٣ (معاني القراءات) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ).

٤ (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ).

٥ (المحتَسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ).

٦ (حجة القراءات) لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت نحو ٤٠٣هـ).

٧ (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

٨ (شرح الهداية) لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو ٤٤٠هـ).

٩ (الموضح لمذاهب الأئمة واختلافهم في الفتح والإمالة) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

١٠ (مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني) لأبي العلاء الكرماني (ت بعد٥٦٣هـ).

١١ (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت٥٦٥هـ).

١٢ (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر) لأحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنا (ت١١١٧هـ).

وهناك مؤلفات معاصرة في علم التوجيه وهي كثيرة أشهرها:

١ (القراءات الشاذة وتوجيهها من لغات العرب) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت١٤٠٣هـ).

٢ (طلائع البشر في توجيه القراءات العشر) لمحمد الصادق قمحاوي.

٣ (المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة). للدكتور محمد سالم محيسن

٤ (المستنير في تخريج القراءات المتواترة). للدكتور محمد سالم محيسن.

٥ (توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية) للدكتور عبد العزيز الحربي.

فوائد علم التوجيه

إنّ لعلم توجيه القراءات فوائد عديدة، واستنتاجات فريدة، وأولى هذه الفوائد وأسماها أنَّه مرتبط بكلام ربّ العزة جلّ جلاله، وشرف العلم من شرف المعلوم، ويعد هذا العلم -كذلك- رابطة الوصل بين علم القراءات والعلوم الأخرى، فمن خلاله تُستخرج الوجوه النحوية، واللغوية، والصرفية، والفقهية، والبلاغية، والعقَدية.

ويمكن إجمال فوائد علم التوجيه بالآتي:

١ إثبات صحة القراءة المتواترة المخالفة لبعض القواعد النحوية.

٢ الدفاع عن اللغة العربية ولهجاتها الفصيحة والصحيحة.

٣ الدفاع عن القرآن الكريم ضد من اعتقد فيه اللحن والتناقض.

٤ بيان إعجاز القرآن الكريم في تعدد قراءات الكلمة الواحدة.

٥ الوقوف على الخلاف الفقهي المبني على اختلاف القراءات.

٦ تفسير القرآن الكريم. وفي هذا يقول الزركشي: "وفائدته كما قال الكواشي (ت٦٨٠هـ): (أن يكون دليلًا على حسب المدلول عليه، أو مُرجِّحًا...).

أسئلة المناقشة

س١ : من هو أوّل من ألّف في القراءات؟

س٢ : هل تناولت كتب التفسير علم التوجيه؟ عدد خمساً منها .

س٣ : عدد خمساً من الكتب المختصة بعلم التوجيه .

س٤ : اذكر ثلاثاً من كتب النحو التي ذكرت توجيه القراءات .

س٥ : عدد فوائد علم التوجيه .

توجيه الأصول

المقصود بالأصول: (القواعد المطردة التي تنطبق على كل جزئيات القاعدة، والتي يكثر دورها، وتطرد، ويدخل في حكم الواحد منها الجميع، بحيث إذا ذكر حرف من حروف القرآن الكريم، ولم يقيد يدخل تحته كل ما كان مثله، فالتفخيم للخاء المفتوحة مثلًا يكون مُطَّردًا في كل كلمة ترد في القرآن فيها خاء مفتوحة، وإنّما سميت الأصول أصولًا؛ لأنّها يكثر دورها ويطّرد حكمها على جزئياتها).

أولاً: باب الاستعـاذة والبسملة

الاستعاذة في اللغة: الالتجاء والاعتصام.

اصطلاحاً: هي طلب العوذ من الله تعالى وهي عصمته، كالاستعانة والاستغاثة، يقال: عذت بفلان واستعذت به، أي: لجأت إليه، وهي خبرٌ بمعنى الدعاء؛ أي: اللهم أعذني من البلاء وشر الأعداء.

وأمّا حكمها؛ فذهب جمهور العلماء، وأهل الأداء، على أنّها مستحبة في القراءة؛ سواء في الصلاة، أم خارجها، وحملوا الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل:٩٨)، على الندب؛ فلو تركها القارئ لا يكون آثمًا.

ووجهها: أنّها دعاء إلى الله، واستعانة به من دخول وسوسة الشيطان وإغوائه، وامتثالًا لأمر الله عز وجل في الاستعاذة عند قراءة القرآن.

البسملة:

البسملة مصدر المراد بها: (بسم الله)، وهي من الأفعال المنحوتة المركبة من كلمتين، فعبّر بكلمة واحدة عن كلمتين أو أكثر، ومثلها (هيلل) إذا قال: لا إله إلا الله، و(حمدل) إذا قال: الحمد لله وهكذا.

والبسملة مستحبة عند البدء بكل أمر مباح ديني أو دنيوي، وذلك لما روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فهو أَقْطَعُ**)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بذكر اللَّهِ أَقْطَعُ**)، والبسملة من ذكر الله.

والبسملة لها ثلاث حالات:

الأولى: أن تأتي في بدء السورة.

الثانية: أن تأتي بين أجزاء السورة.

الثالثة: أن تأتي بين سورتين.

أولاً: إذا أتت البسملة في أوائل السور؛ اتفق القرّاء على إثباتها، باستثناء سورة (براءة)؛ وذلك لأنّها نزلت بالسيف، وأيضا حملها على رسم المصحف، إذ إن البسملة لم تكتب في مطلعها، وكما تكتب همزات الوصل وهي ساقطة في الدرج.

ووجه إثباتها في مطلع كل سورة لسببين:

الاول: إرادة التبرّك بذكر أسماء الله وصفاته.

والآخر: أنّها ثابتة في رسم المصحف.

ثانياً: إذا جاءت البسملة بين أجزاء السورة؛ فاتفق للقرّاء التخيير بين الإتيان بالبسملة أو عدمه.

وسوغ علماء القراءات الإتيان بالبسملة؛ وذلك لأن رأس الآية موضع ابتداء في الجملة، كما يسمى في ابتداء الوضوء، والأكل، والشرب.

ثالثاً: إذا جاءت البسملة بين سورتين، فلقالون وابن كثير وعاصم والكسائي إثبات البسملة، وورش وأبو عمرو وابن عامر لهم البسملة والوصل والسكت، ولحمزة الوصل فقط.

ووجه الوصل دون بسملة: لأنّها ليست آية من السور، فلم تثبت كي لا يظن السامع أنّها آية من السورة، وحمزة عنده القرآن كالسورة الواحدة.

ووجه السكت:

١- للتنبيه على انتهاء السورة وابتداء القارئ بسورة أخرى.

٢- للتنبيه على أن البسملة ليست آية من السورة.

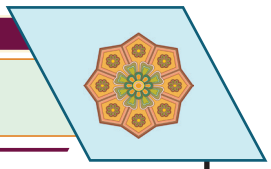

أسئلة المناقشة

س١: عرّف الأصول.

س٢: ما الحكمة من الإتيان بالاستعاذة عند البدء بالقراءة؟

س٣: لماذا لا نبسمل في بداية سورة براءة؟

س٤: ما وجه الوصل بين السورتين بدون بسملة؟

س٥: للقارئ المبتدئ في أجزاء السورة البسملة وعدمها علّل ذلك.

س٦: ما وجه السكت دون بسملة بين السورتين؟

الوحـــدة الثانية
في أحكام مهمة

بعد الإنتهاء من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادراً على أنْ:

١. يُعلل وجوب الإظهار عند أحرف الحلق.
٢. يُعلل عدم جواز الإدغام في كلمة واحدة.
٣. يَشرح سبب قلب النون الساكنة والتنوين ميمًا عند الباء.
٤. يُبيّن حقيقة الإخفاء وسببه.
٥. يُعرّف هاء الكناية.
٦. يَذكر سبب امتناع الصلة إن سُبقت الهاء بساكن.
٧. يُعلل وجه إسكان الهاء لبعض القرّاء.
٨. يُعدد أسباب المدّ اللفظية.
٩. يَذكر علَّة المدّ عند الهمزة والسكون دون غيرها.
١٠. يَذكر سبب تخفيف حمزة وهشام للهمزة وقفًا.
١٠. يُعلل سبب الإمالة.
١١. يَذكر علامة ياءات الإضافة.
١٢. يُعرّف ياءات الزوائد.
١٣. يُعرِف معنى فرش الحروف.

أحكام النون الساكنة والتنوين

أحكام النون الساكنة والتنوين أربعة: (الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء)، فالنون الساكنة تقع في آخر الكلمة، وفي وسطها كسائر الحروف السواكن، وتكون في الأسماء والأفعال والحروف.

اتفق القرّاء السبعة عند هذه الأحكام الأربعة على التفصيل الآتي:

أولاً: الإظهار: تُظهر النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق الستة، وهي: (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء)، وحروف الحلق سبعة كما ذكرها أبو شامة، والحرف السابع هو: (الألف) ولكنّه لم يذكر؛ لأنّه لا يأتي في أول الكلمة، ولا بعد ساكن أصلًا؛ فهو لا يكون إلا ساكنًا.

والعلة في الإظهار عند هذه الأحرف: هو بُعْد مخرجي النون والغنة عن مخارج الحلق، فإذا تباعدت المخارج؛ وجب الإظهار الذي هو الأصل، والإدغام هنا يُعد لحنًا عند القراء لعدم جوازه.

ثانياً: الإدغام: تدغم النون الساكنة والتنوين عند ستة أحرف، إذا جاءت من كلمتين، وهي: (الياء، والراء، والميم، واللام، والواو، والنون)، المجموعة في كلمة (يرملون).

والعلة في الإدغام، تكون كالآتي:

تدغم في اللام والراء مع إسقاط غنة النون؛ وذلك للتقارب في المخارج، وترك الغنة باعتبار التقاء النون الساكنة والتنوين مع اللام والراء كالمثلين، ولا غنة في إدغام المثلين.

وتدغم النون الساكنة والتنوين في بقية الحروف المجموعة في كلمة (ينمو) مع إظهار الغنة، وذلك لأنّ هذه الحروف في القرب من النون الساكنة والتنوين، ليس

كقرب اللام والراء.

وهذه القاعدة في الإدغام عند هذه الأحرف الستة ليست مطرّدة، ولكن هناك استثناءات، ولكنّها معدودة المواضع في القرآن الكريم، وهي أربع كلمات اجتمعت فيها النون الساكنة مع الواو والياء، وهي قوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ﴾ (الرعد:٤)، ﴿قِنْوَانٌ﴾ (الأنعام:٩٩)، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ (البقرة:٨٥)، ﴿بُنْيَٰن﴾ (التوبة: ١٠٩)، فيتعيّن هنا الإظهار، وذلك لئلا يشتبه بالمضعّف، فتقول: (ديّا)، و(صوّان)، فلا تعطي معنى الدنى والصنو، بخلاف الادغام من نحو قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ﴾ (النساء:١٣٣) و﴿مِن وَالٍ﴾ (الرعد:١١)، إذ لا الالتباس في ذلك، وكذلك أظهرها العرب مع الميم في كلمة من نحو قولهم: (شاة زنماء، وغنم زنم)، ولم يقع مثله في القرآن.

ثالثاً: الإقلاب: ويكون عند حرف واحد وهو (الباء)، فإن النون الساكنة أو التنوين إذا التقت بالباء تقلبان ميمًا خالصة من غير إدغام، والاقلاب يكون من كلمة نحو: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾(البقرة:٣٣)، ومن كلمتين: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ (النمل:٨)، وأمّا التنوين مع الباء فلا يكون إلا من كلمتين نحو: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (الحج:٦١)، ﴿صُمٌۢ بُكْمٌ﴾ (البقرة:١٨).

والعلة في الاقلاب هي: أن الميم مؤاخية للنون في الغنة والجهر، ومشاركة للباء في المخرج، فهما يخرجان من مخرج واحد وهو الشفتان، فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها، وذلك لبعد المخرجين، ولم يمكن أن تكون ظاهرة، لشبه النون بأخت الباء وهي الميم، فأبدلت ميمًا لأنها مؤاخية للنون والباء معًا.

رابعاً: الإخفاء: ويكون عند باقي الحروف غير هذه الثلاثة عشر التي مرّ ذكرها في الإظهار والإدغام والاقلاب، نحو قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ (المائدة:٢)، ﴿مَنصُورًا﴾ (الإسراء:٣٣)، ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾(آل عمران:١٥)، وهكذا في بقية الأحرف.

والعلة في الإخفاء، تكون كالآتي:

تخفى النون الساكنة أو التنوين مع بقاء غنتها، من غير تشديد؛ لأنّها لم يستحكم فيها البعد ولا القرب من حروف الإخفاء، فلما توسطت أعطيت حكمًا وسطًا بين

الإظهار والإدغام، وهو الإخفاء، وسواء كان ذلك من كلمة أو كلمتين.

وقال الداني (ت٤٤٤هـ): (والإخفاء حال بين الإظهار والإدغام، وذلك أنّ النون والتنوين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام، فيجب إدغامه فيهنّ من أجل القرب للمزاحمة، ولم يبعدا أيضًا منهنّ كبعدهما من حروف الحلق فيجب إظهارها عندهنّ من أجل البعد للتراخي، فلمّا عدم القرب الموجب للإدغام، والبعد الموجب للإظهار، أخفيا عندهنّ، فصارا لا مدغمين ولا مظهرين، إلّا إنّ إخفاءهما على قدر قربهما منهنّ، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه، والفرق عند القرّاء والنحويين بين المخفى والمدغم، أنّ المخفى مخفف، والمدغم مشدّد).

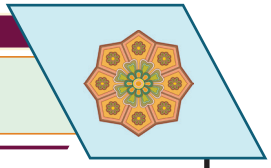

أسئلة المناقشة

س١: لماذا تظهر النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق الستة؟

س٢: ما سبب انعدام الغنة عند اللام والراء.

س٣: لماذا يمتنع الادغام في كلمة واحدة؟

س٤: تقلب النون والتنوين ميماً عند الباء علّل ذلك، ولماذا تقلب ميماً دون غيره من الحروف؟

س٥: وجّه إخفاء النون الساكنة والتنوين عند الحروف الخمسة عشر دون غيرها.

هاء الكناية

هاء الكناية في عُرف القرّاء: هي هاء يُكنّى بها عن المفرد المذكر الغائب، وتسمى هاء الضمير، فلا يصح من نحو: (نفقهُ -ينته)، لأنّ الهاء هنا أصلية وليست زائدة، ولا من نحو: (عليها، عليهما، عليهم) لأن هاء الكناية للمفرد المذكر، فهذه وإن كانت هاءات ضمير؛ إلّا إنّها في الاصطلاح لا تسمى هاءات كناية، وهاء الكناية الأصل فيها الضم إلّا أن يسبقها كسر أو ياء فإنّها حينئذ تكسر.

اتفق القرّاء على صلة هاء الكناية إذا وقعت بين متحركين، فلهم الصلة بواو إن كانت مضمومة نحو قوله تعالى: ﴿ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾(عبس:٢١)، وبياء إن كانت مكسورة نحو قوله تعالى: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾، (الجاثية :٢١).

ووجه الصلة هو: أن الهاء حرف خفي فقوي بالصلة بحرف من جنس حركته، فقويت بالواو؛ لأن الأصل فيها الضم، وتوصل بياء إذا كانت مكسورة.

وتمتنع الصلة إذا سُبقت بساكن من نحو قوله تعالى: ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾(البقرة:٢)، وفي وجه امتناع الصلة ثلاثة علل:

١ كراهة اجتماع حرفين ساكنين (الساكن الذي قبل الهاء والساكن المتولّد من صلتها)، والحاجز بينهما الهاء وهو غير حصين.

٢ حذف الياء المتولدة من الصلة طلباً للخفة، وبقيت الكسرة تدلّ عليها.

٣ حذفت الصلة لأنّ الياء محذوفة في رسم المصحف.

ولابن كثير الصلة إن سبقت هاء الكناية بساكن، نحو قوله تعالى: ﴿ عَقَلُوهُ وَهُمۡ ﴾ (البقرة:٧٥)، ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ (البقرة:٢)، ووافقه حفص عن عاصم في قوله تعالى:

﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩].

فوجه الصلة لابن كثير أنَّه أتى بها على الأصل لخفائها.

ووافقه حفص في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩] لعلتين:

١ جمعًا بين اللغتين، واتباعًا للأثر.

٢ أنّ بالصلة تطويل اللفظ وفيه تشنيع ومبالغة في الوعيد لملإ فرعون، وتنبيهًا للخلق بما أوعد الله به العصاة.

وقرئت هاء الكناية في بعض المواضع بالإسكان، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ في موضعين في آل عمران، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وموضع في الشورى و﴿نُوَلِّهِۦ وَنُصْلِهِۦ﴾(النساء:١١٥)، ويلحق بها: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ (النمل: ٢٨).

وقد طعن بعض النحاة في قراءة التسكين من نحو: (نوله -يؤده)، قال أبو إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيّن؛ لأنّ الهاء لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل إنَّما تسكن في الوقف).

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط ليس بشيء، إذ هي قراءة في السبعة، وهي متواترة، وكفى أنّها منقولة من إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنّه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا).

ونُقل عن الكسائي أنّ إسكان الهاء هي لغة عقيل وكلاب فقال: سمعت أعراب عقيل وكلاب يقولون: لربه لكنود بالجزم في هاء ربه.

ووجهها:

١ أنّ الياء المتولّدة من الصلة المحذوفة ساكنة، فبقيت الهاء وسكّنت إشارة إلى سكون الياء المحذوفة.

٢ أنّه شبّه هاء الضمير بألفها وواوها ويائها فأسكنت.

٣ أنّ الصلة استثقلت فأسكنت كما فعل في ميم الجميع.

٤ أنّها وصلت بنية الوقف؛ لأنّها ساكنة في الوقف بالاتفاق.

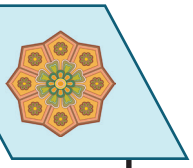

أسئلة المناقشة

س١: لماذا نقرأُ بالصلة في هاء الكناية؟

س٢: تمتنع الصلة إذا سُبقت بساكن. علّل ذلك.

س٣: خالف ابن كثير القرّاء فأعطى الصلة للمسبوق بساكن ماحجّته؟

س٤: ما الحجة لمن قرأ هاء الكناية بالإسكان؟

س٥: لحفص الصلة فيما سُبق بساكن في قوله تعالى: (فيه مهانا) فقط،ما العلّة في ذلك؟

المد والقصر

تعريف: المد

المد في اللغة: الزيادة. قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة).

واصطلاحاً: إطالة زمان الصوت بحرف من أحرف المد الثلاثة، أو بحرف من حرفي اللين، إذا لقي حرف المد أو حرف اللين همزًا أو سكونًا، وحروف المد ثلاثة: هي الألف الساكن المفتوح ما قبلها، والواو الساكن المضموم ما قبلها، والياء الساكن المكسور ما قبلها، ولا يتحقق المد إلّا إذا وجد سببه؛ وأسباب المد هي: إمّا همز أو سكون، إذا جاءت بعد حرف المد سواء في كلمة أو في كلمتين، وهذا السبب اللفظي.

ووجه المد عند الهمزة خاصة لسببين:

١ أن حروف المد خفية ضعيفة، والهمزة حرف قوي صعب في اللفظ بعيد المخرج، فزيد في حرف المد تقوية له لمجاورة الضعيف للقوي.

٢ إطالة الصوت بحرف المدّ للتمكن من اللفظ بالهمزة بإعطائها حقّها.

ووجه المد عند السكون: هو التقاء الساكنين حرف المد واللين والحرف الساكن بعده، وهو ما يسبب الثقل، إذ لا يمكن النطق بساكن إلّا وقبله حركة، فكان إطالة الصوت عند أحد أحرف المد يقوم مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى النطق بالساكن، ولا فرق في ذلك إن كان الساكن مشددًا نحو: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة:٧)، أو مخففاً نحو: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ (يونس:٩١).

وهناك سبب معنوي للمد هو: قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء.

ومنه مد التعظيم: هو أن يمدَّ القارئ المدَّ المنفصل بمقدار أربع حركات لا يبلغ الإشباع لمن كان طريقه القصر من الطيّبة، نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة:١٦٣)، ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾(الأنبياء:٨٧)، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(الصافات:٣٥).

ومد التبرئة: وهو عبارة عن المبالغة للنفي في (لا النافية للجنس) من قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ﴾ (البقرة:٢)، ﴿لَّا شِيَةَ﴾(البقرة:٧١)، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾(البقرة:٢٤٩)، ﴿لَّا مَرَدَّ﴾(الروم:٤٣)، ﴿لَا جَرَمَ﴾(هود:٢٢)، وما شابهها، ومقدار المدِّ فيه التوسط أربع حركات لحمزة من طريق الطيّبة.

أسئلة المناقشة

س١: ما هو السبب اللفظي للمد؟

س٢: ما وجه المد عند الهمزة؟

س٣: علّل سبب المد إن جاء بعده ساكن.

س٤: ما تعليل السبب المعنوي؟

الهمزات

اختلف القرّاء في تخفيف الهمزة وتحقيقها، بما هو مفصّل في كتب القراءات، **وتخفيف الهمزة يكون على أربعة أوجه:**

الأول: الإبدال: وهو أن تبدل الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فيصير بعد الفتحة ألفًا، وبعد الضمة واوًا، وبعد الكسرة ياءً، نحو: (تاكلون)، (المومنون)، (الذيب).

الثاني: التسهيل بين بين، وهو أن ينطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها نحو: (أنشأكم)، وهذا ما لا يعرف إلّا بالمشافهة.

الثالث: الحذف من غير نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها، نحو: (الصابين).

الرابع: الحذف مع نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وسواء كان هذا الساكن لام تعريف نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة:١١)، أم تنوين نحو قوله تعالى: ﴿مُّبِينٌ أَنِ ٱعْبُدُوا۟﴾ (نوح:٢)، أم غير ذلك من الحروف ما لم يكن حرف مد نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ (البقرة:٦٢).

ووجه التنوّع في تخفيفها؛ أنّ الهمزة حرف جلد على اللسان، وفي النطق بها كلفة، وذلك لخروجها من أقصى الحلق وما يليه من أعلى الصدر، يشبه السعلة لكونه نبرة من الصدور، كان في النطق به كلفة ومشقة، وخصوصًا إذا اجتمعت مع همزة أخرى، فتوصل إلى تخفيفه ليسهل النطق به، كما تسهل الطرق الشاقة والعقبة المتكلف صعودها، ولهذا سمي تخفيفها تسهيلا.

ومن وجوه التخفيف في هذا الباب (ألف الإدخال)، وهو أن يدخل القارئ ألفاً بين الهمزتين المجتمعتين في كلمة من نحو: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة:٦).

ووجه إدخال الألف بين الهمزتين هو: ثقل اجتماع الهمزتين؛ ولأنّ الهمزة الأولى ليست من بنية الكلمة في الغالب، وإنّما هي عارضة للاستفهام، ففصل بينهما للتنبيه على ذلك؛ ولذلك امتنع الإدخال عند كلمة ﴿أَئِمَّةَ﴾ عند الجمهور ما عدا هشام بالخلف عنه؛ لأنّ الهمزة الأولى منها أصلية من بنية الكلمة، كما فعل ذو الرمّة:

أَيا ظَبيَةَ الوَعساءِ بَينَ جُلاجِلٍ وَبَينَ النَقا أَأَنتِ أَم أُمُّ سالِمِ

أمّا وجه النقل لورش: لمعرفة حركة الهمزة المحذوفة، فعندما حذفت الهمزة للتخفيف ألقيت حركتها على الساكن قبلها للدلالة على الهمزة المحذوفة.

تخفيف الهمزة وقفًا:

من أنواع التخفيف أن تخفف الهمزة عند الوقف خاصة؛ لثقل الهمزة لما فيها من شدة وبُعد في المخرج، ونبر، وصوت يشبه التهوّع، فكان بعض العرب يخففونها بأنواع التخفيف، وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيّما قريش.

وهذا الباب خاص بحمزة فيما لو وقف القارئ على كلمة فيها همزة في وسطها، نحو: ﴿سِيٓـَٔتْ﴾أو في آخرها، نحو:﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، أو مفصولة رسماً، نحو:﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ويدخل معه هشام في الهمز المتطرف فقط.

وسبب تخصيص تخفيف الهمزة المتطرفة بالوقف في هذا الباب هو: أنّ القارئ عندما يقف على الكلمة يكون قد وهنت قوته اللفظية، وضعف صوته؛ بسبب قراءته ما قبل وقفه فإن كان في الكلمة الموقوف عليها همزة زادت ثقلًا على الواقف لما فيها من شدة وثقل كما أسلفت، فناسب تخفيفها وقفًا، بخلاف ما لو وصلها فإنّ القارئ يكون بقوته الصوتية واللفظية التي يستطيع معها أن يوصل بتحقيق الهمز، ومن لم يخففها عدّ الأصل فيها تحقيقها.

أمّا الهمزة المتوسطة، (فلحمزة في تخفيفها علتان: إحداهما: أنّ الصوت يفتر عندها بعض الفتور؛ لقربها من الطرف، فأجراها مجرى المتطرفة لذلك.

والأخرى: أنّه لَمّا حكم في المتطرفة بحكم التخفيف أتبعها المتوسطة لقربها منها...من حكمهم للشيء بحكم الشيء إذا قاربه في بعض الأحوال).

ولم تخفف الهمزة المبتدأ بها؛ وذلك لأنّك لو أردت تخفيفها بالتسهيل بين بين يتوجب النطق بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، فهو قريب من الساكن والساكن وما قرب منه لا يبتدأ به؛ لأنّه يحتاج في هذه الحالة إلى حرف متحرك ليُبتدأ بالكلمة، وإن خففت بالإبدال احتيج إلى معرفة حركة ما قبلها كي يتسنّى إبدالها ولا شيء قبلها فلا يصح، وكذا النقل يحتاج إلى حرف قبلها كي يلقى إليه حركتها وبما أنّها مبتدأ بها لا يمكن ذلك ومثله الحذف، فيتعين تحقيق الهمزة المبتدأ بها بخلاف الهمزة المتوسطة والمتطرفة.

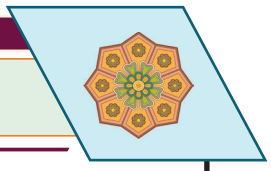

أسئلة المناقشة

س١: لماذا اختصّت الهمزة دون غيرها بالتخفيف؟

س٢: علّل مذهب القرّاء في الإدخال.

س٣: ما حجّة امتناع الإدخال في كلمة (أئمة)؟

س٤: من أنواع التخفيف النقل، وجّه ذلك.

س٥: لماذا خفف حمزة الهمزة وقفًا؟ وضح ذلك.

الفتح والإمالة

الفتح: ضد الإمالة، وهو عبارة عن فتح القارئ لفمه، ويكون في الألف أظهر، ويقال له: التفخيم، ويقال له أيضًا: النصب، وينقسم على قسمين: الأول: فتح شديد، والثاني: فتح متوسط.

فالفتح الشديد: هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، وهذا لا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب، وإنّما يوجد هذا اللفظ عند عجم الفرس، ولاسيما أهل خراسان ومن قرب منهم، وهو اليوم في أهل ما وراء النهر أيضًا، ولما جرت طباعهم عليه في لغتهم، استعملوه في اللغة العربية، وساروا عليه في القراءة، ووافقهم على ذلك غيرهم، وانتقل ذلك عنهم، حتى فشا هذا النطق في أكثر البلاد، وهو ممنوع منه في القراءة كما نصّ عليه الأئمة، وهذا هو التفخيم المحض.

وأمّا الفتح المتوسط: (هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، قال: وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القرّاء)، ويقال له: الترقيق، وقد يقال له التفخيم بمعنى أنّه ضد الإمالة.

والإمالة تنقسم على قسمين: إمالة وسطى، وإمالة شديدة.

فالإمالة الوسطى: هي أن ينطق بالحرف بين الفتح المتوسط، وبين الإمالة الشديدة، ويطلق عليها: الصغرى، والتقليل، والتلطيف، وبَيْن بَيْن.

والإمالة الشديدة: هي أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلبٍ خالص ولا إشباع مبالغ فيه. ويطلق عليها: (الكبرى، الإضجاع، المحضة، البطح، الكسر).

وكلٌّ من الإمالة المتوسطة والشديدة لا يمكن ضبطها، إلّا بالتلقي من أفواه أهل الأداء المتقنين.

ووجه الإمالة: (سهولة اللفظ؛ وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، والانحدار أخفّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال من العرب، أمّا مَن فتح فإنّه راعى كون الفتح هو الأصل، فلم يعدل عنه وإن كان غيره أخف منه).

قال الداني (ت٤٤٤هـ): (والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، قال: وعلماؤنا مختلفون في أي هذه الأوجه أوجه وأولى، ثم قال: واختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين، لأنّ الغرض من الإمالة حاصل بها، وهو: الإعلام بأنّ أصل الألف ياء، أو التنبيه على انقلابها إلى ياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء، ثمّ أسند حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**اقرؤُوا القرآنَ بلُحونِ العربِ و أصواتِها ، و إيَّاكم و لحونَ أهلِ الكتابَيْن و أهلِ الفِسقِ**)، قال: فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة، ومن لحون العرب وأصواتها، وهي مذاهبها وطباعها).

إذن الفتح والإمالة من لغات العرب الفصيحة:

- إذ الفتح لغة أهل الحجاز.
- والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس.

أسباب الإمالة:

سبعة أسباب هي:

١. كسرة موجودة في اللفظ مثل ﴿ءَانِيَةٍ﴾ .
٢. عارضة في بعض الأحوال مثل ﴿خَافَ﴾ ﴿طَابَ﴾.
٣. ياء موجودة في اللفظ مثل ﴿وَمَحْيَاىَ﴾.

٤ انقلاب الألف عن ياء مثل: ﴿هُدَى﴾ ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾.

٥ شبه الانقلاب عن ياء مثل: ﴿مُوسَىٰ﴾ ﴿يَحۡيَىٰ﴾.

٦ مجاورة إمالة، المسمى إمالة لأجل الإمالة وهو ما يكون للتناسب كرؤوس الآي، مثل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿سَجَىٰ﴾.

٧ ألف مرسومة ياء مثل: ﴿أَنَّىٰ﴾.

قاعدة إمالة الألف الرائية:

ويُقصد بها كل ألف قبلها راء نحو: ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ أو بعد الألف راء مكسورة ﴿ٱلنَّارِ﴾ أو ألف بين راءين الثانية مكسورة ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾.

فوجه إمالة (ذكرى) وما شابهها:

١ الأصل في ذلك اتباع الأثر، والاقتداء بالرواية.

٢ موافقة لبعض لهجات العرب، إذ حكى الفراء عن الكسائي أنّه قال: (للعرب في كسر الراء رأي ليس لها في غيرها).

٣ لتقرب الألف من أصلها؛ إذ أنها منقلبة عن ياء.

وروي عن أبي عمرو أنّه قال: (أدركت أصحاب ابن مجاهد وهم لا يكسرون شيئاً من القرآن إلا نحو: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾، ﴿تَرَىٰ﴾).

أمّا إمالة (النارِ) (الأبرارِ) وما شابهها: فوجهها أنّ الراء حرف تكرير، فهو بمثابة الحرفين ولا سيما إذا كانت الراء مكسورة فإنّ الإمالة تكون أكثر قوة.

قاعدة ما كان على وزن فعلى مثلثة الفاء:

قرئ بالإمالة الكبرى وبَيْن بَيْن كلّ ما كان على وزن (فعلى) مثلثة الفاء مضمومة مثل: ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾، أو مفتوحة مثل: (تَقوى)، أو مكسورة مثل: (إحدى).

وعلّة ذلك: أنّ ألفاتها منقلبة عن ياء، وإنّ الألف -هنا- للتأنيث، وإنّ الإمالة بنوعيها أتت لتقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء.

قاعدة إمالة الحروف المقطّعة:

ويقصد بها: الحروف المقطعة في فواتح السور، وقد أميلت بعضها لعلتين:

١ لأنّها أسماء ما يلفظ به من الأصوات المقطعة.

٢ ليفرّق بينها وبين حروف المعاني التي لا تجوز إمالتها، نحو: (ما، لا، إلا).

ومما يدل على أنّ هذه الحروف أسماء؛ أنّك تخبر عنها فتعربها، فتقول حاؤك حسنة، وصادك محكمة، وإذا عطفت بعضها على بعض أعربتها كالعدد.

ووجه إمالة بعضها دون البعض، جمعًا بين اللغتين.

والحروف الممالة من هذه الأحرف المقطعة؛ خمسة فقط في سبع عشرة سورة وهي: (الراء، الهاء، الياء، الطاء، الحاء).

قاعدة إمالة رؤوس الآي الإحدى عشر:

قُرئت رؤوس الآي الإحدى عشر بالإمالة الكبرى والصغرى (بَيْن بَيْن)، وهي: (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الضحى، الليل، العلق).

وعلة الإمالة هنا هي: أن رؤوس الآي مشبهة بالقوافي، ولأنّهن مواضع وقف؛ فلذلك حصلت فيها الإمالة، أو التغيير لتكون على سَنن واحد فحسنت الإمالة.

أسئلة المناقشة

س١: اذكر القبائل التي امتازت لهجتها بالإمالة.
س٢: ما حجّة من أمال الألف؟
س٣: لم يقرأ بعض القرّاء بالإمالة علّل ذلك.
س٤: عدد أسباب الإمالة.
س٥: ما وجه إمالة الألف الرائية.
س٦: علّل إمالة (فعلى) مثلثة الفاء.
س٧: لماذا أميلت بعض أحرف فواتح السور؟

الياءات

ياءات الإضافة

ياء الإضافة في اصطلاح القراء هي عبارة عن ياء زائدة دالة على المتكلم، وهي ضمير يتصل بالاسم، وتكون مجرورة المحل نحو: (نفسي، ذكري)، وتتصل بالفعل تكون منصوبة المحل على أنّها مفعول به نحو: (فطرني، ستجدني)، وبالحرف وتكون في محل نصب وجر نحو: (إنّي، لي).

وعلامة هذه الياء هي صحة إحلال الكاف والهاء محلها فتقول: (فطرني-فطرك-فطره)، (ضيفي-ضيفك-ضيفه)، وخلاف القراء فيها بين الفتح والإسكان.

ووجهها؛ أنّ الأصل في ياء الإضافة هو الفتح؛ لأنّها اسم، والاسم لا يكون على حرف واحد ساكن، فقوّيَ بتحريكه، كما حركت الكاف والهاء فتقول: إنّكَ وإنّهُ، واختير من الحركات الفتحة؛ لأنّها أخفّ الحركات، كما أنّ الياء إن ضُمّت أو انكسرت أُعلّت بالقلب أو الحذف.

أمّا الإسكان، فهو للتخفيف؛ إذ الياء في نفسها ثقيلة، فإن حُرّكت ازدادت ثُقلًا، لذا تراها تقلب ألفًا عند تحرّكها وانفتاح ما قبلها، وكلًا من الفتح والإسكان اشتهر عن العرب، إلّا أنّ الأصل في القراءات هو الرواية واتباع الأثر في فتحها وإسكانها.

ياءات الزوائد

والمقصود بها عند أهل الأداء: هي ياء لا تأتي إلّا آخر الكلمة، وتكون محذوفة من رسم المصحف زادها القراء لفظًا.

وخلاف القراء فيها بين الحذف والإثبات، منهم من يثبتها وصلًا فقط، ومنهم من يثبتها وقفًا فقط، ومنهم من يثبتها في الحالين.

والحذف والإثبات لغات للعرب وهي جائزة، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): (وقد يحذفون في الوقف الياء التي قبلها كسرة وهي من نفس الحرف، نحو القاض)، فإثباتها وصلًا ووقفًا لغة الحجازيين، والحذف لغة هذيل.

وجه إثباتها وقفًا ووصلًا؛ الاتيان بها على الأصل.

ووجه حذفها؛ طلبًا للخفة واتباعًا لخط المصحف، والاكتفاء بالكسرة في الوصل.

ووجه حذفها وقفًا وأثبتها وصلًا؛ فإنّه جمع بين الوجهين.

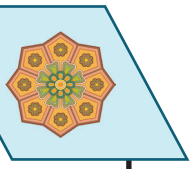

أسئلة المناقشة

س١: ما هو الأصل في ياءات الإضافة الإسكان أم الفتح؟ وضّح ذلك

س٢: ما حجة من فتح ياءات الإضافة؟

س٣: علّل وجه الإسكان في ياءات الإضافة.

س٤: حذف ياءات الزوائد وإثباتها لغات، حدد القبائل التي تثبتها والقبائل والتي تحذفها.

س٥: ما وجه من حذف ياءات الزوائد وقفاً وصلاً؟

توجيه فرش الحروف

الفرش

الفرش في اللغة: البسط والنشر، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (الفاء والراء والشين أصل صحيح يدل على تمهيد الشيء وبسطه).

واصطلاحاً: عند أهل الأداء؛ ما قلّ دوره من حروف القراءات المختلف فيها فرشًا، لانتشار هذه الحروف في مواضعها من سور القرآن الكريم، فكأنّها انتشرت وانغرست في السور، بخلاف الأصول؛ فإنّ الحكم الواحد منها ينسحب على الجميع، وقد يوجد في الفرش ما يطّرد حكمه، والحروف جمع حرف؛ والحرف القراءة؛ يقال: حرف نافع، وحرف أبي عمرو؛ أي قراءته.

سورة الفاتحة

١ اختلف القراء في كلمة: (مَٰلِكِ) فقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة بحذف الألف فتصبح (ملك)، وقرأها عاصم والكسائي بإثبات الألف (مالك).

فقراءتها بإثبات الألف يؤيده قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾(آل عمران:٢٦)؛ لأنّ مالك أعم فيدخل المُلك تحته.كما وأنّ (مَلِك) تعطي معنى: السيد والرب، فتقول: سيد يوم الدين، بخلاف ما لو قلت: (مالك يوم الدين)، فإنّ المعنى يكون أبلغ وأشمل فيكون هو المختص بملك ذلك اليوم.

وأما قراءتها بدون ألف يؤيده قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (طه:١١٤)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ (الحشر:٢٣)، وقوله تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس:٢)، وقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ

﴿ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ (غافر:١٦)، بالضم على أنَّها مصدر (مَلك) فتقول: ملكٌ بيّنُ المُلك.

فكل مَلِك فَهُوَ مَالك، وَلَيْسَ كل مَالك ملكًا؛ لِأَنّ الرجل قد يملك الدَّار والثَّوب وَغير ذَلِك فَلَا يُسمى مَلِكًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١٣٠هـ) في تأويل قراءة (مَلك): (أن لله الملك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنّهم الصَّغَرة الأذلة، وأن له من دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦)، فاخبر تعالى ذكره أنَّه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى أذلة وصَغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار).

فالقراءتان جمعتا صفة المُلك والمِلْك لله تعالى، فهو مالك يوم الدين ومَلِكُه.

٢ قرأ خلف عن حمزة كلمة (صراط، الصراط) بإشمام الصاد زاياً أينما وقعت في القرآن، ووافقه خلّاد في الموضع الأول من سورة الفاتحة فقط، وقرأ قنبل بالسين الخالصة، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة.

والقراءة بالصاد الخالصة، وإشمامها زايًا لُغات للعرب، وإشمام الصاد زايًا لغة قيس، والقراءة بالصاد الخالصة لغة قريش.

أمّا قراءتها بالسين على أنّ أصل كلمة السراط بالسين، ومعناها الطريق، وسميت الطريق سراطا؛ لأنها تسرط أي تبتلع المارة.

٣ ضمّ الهاء (عليهم) وصلاً ووقفاً لحمزة، والباقون بكسرها.

فوجه ضمّها؛ على اتباع الأصل في الهاء وهو الضم؛ لأنّها تُضمّ في الابتداء، ووجه كسرها استثقال ضمّ الهاء بعد الياء، والأصل في ذلك كلّه هو الرواية.

٤ قرأ قالون بخلف عنه وابن كثير بصلة ميم الجمع أينما وقعت إن جاء بعدها

متحرّك، فـ (عليهم) بعد الصلة تصبح: (عليهمو) لفظاً، ووافقهم ورش إذا جاء بعدها همزة قطع.

صلتها؛ أنّه أتى بها على الأصل، إذ الأصل في ميم الجمع الضم، فأشبع الضم بالصلة حتى تولّد منها واو مدّية، كما أنّ كلّ مضمر إذا جاوز المفرد إلى التثنية والجمع يحتاج إلى حرف أو حرفين بعده، فقيل في تثنية الهاء: (عليها)، و(الزيدون)، و(الزيدان)، و(قاما)، و(قاموا) وهكذا.

ووجه الإسكان وعدم الصلة: للتخفيف، إذ لا يشكل المعنى إذا حذفنا الواو، وسكنت الميم لأنّ ضمّها من الواو المتولّدة من الصلة.

أمّا وجه الصلة لورش إذا جاء بعدها همزة قطع فقيل:

١ جمعاً بين اللغتين، الصلة وعدمها.

٢ أنّ الهمزة سبب للمد، فمدّ لذلك.

٣ أنّ مذهب ورش النقل إلى الساكن قبل الهمزة، فإن نقل إلى الميم لزمه تحريكها بالضم نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ (البقرة:٧٨)، والفتح نحو قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة:٦)، والكسر نحو قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ إِنِّي ﴾ (الأنبياء:٢٩) فآثر صلتها بحركتها الأصلية كي لا تعتريها الحركات العارضة.

أسئلة المناقشة

س١: عرّف الفرش لغة واصطلاحاً.

س٢: وجّه قراءة (ملك)، و(مالك).

س٣: عدد القبائل ولغاتها في النطق بالصاد.

س٤: ما الحجة لمن قرأ ميم الجمع بالصلة؟

س٥: لورش صلة ميم الجمع إذا جاء بعدها همزة قطع فقط. علّل ذلك.

س٦: ما وجه ضم الهاء في (عليهم).

الوحـــدة الثالثة

أثر القراءات في العلوم الأخرى

بعد الإنتهاء من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادراً على أنْ:

١. يعرف على معنى تأثير القراءة في الاحكام.

٢. يمثل للقراءات التي أثرت في تغيير حكم من الاحكام.

٣. يوجّه صرفيًا القراءات الواردة في بعض الايات القرآنية.

٤. يذكر الأوجه النحويّة في قراءة (حمالة) بالرفع.

٥. يذكر الأثر العقدي في قراءة (يكفروه) بالياء.

٦. يبيّن مراد قوم عيسى بقولهم: (هل يستطيع ربّك).

٧. يذكر خلاف القرّاء الذي يثبت أنّ الله خالق لفعل العباد.

٨. يوضّح كيفية نسبة العجَب لله في قراءة (بل عجبتُ).

٩. يشرح خلاف القراء في إلحاق الذريّة بالوالدَيْن المسلمَيْن.

أثر القراءات في التفسير والفقه

١ قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(البقرة:٣٧).

قرأ ابن كثير بنصب كلمة (آدمَ)، وبالرفع في (كلماتٌ)، وقرأ الباقون بالرفع في كلمة (آدمُ)، وبالنصب في (كلماتٍ).

فعلى قراءة ابن كثير تكون (الكلمات) هي الفاعل، و(آدم) مفعول به، فالمعنى: أن الكلمات أنقذت آدم حين قالها ودعا بها بعد تيسير الله تعالى له، فتاب الله عليه.

أمّا على قراءة الباقين، يكون (آدم) فاعلاً، و(كلمات) مفعول به، فيكون المعنى: أنّ آدم قبل هذه الكلمات ودعا بها فتاب الله عليه لقبوله هذه الكلمات.

٢ قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٥٩).

قرأ الْكُوفِيُّونَ وَابْن عَامر: (ننشزها)بالزاي، وقرأ باقي القرّاء (ننشرها) بالرّاء.

فوجه قراءتها (بالزاي) (ننشزها)، بمعنى: نرفعها، إذ النشز من الرفع، أي: رفع العظام بعضها فوق بعض حتى اجتمعت والتأمت، والإنشاز أيضًا يأتي بمعنى الإحياء، أي: نحييها، والعظام عند إحيائها يضم بعضها إلى بعض.

وقيل: ننشزها بمعنى: ننبتها، فكأن العظام عند إحيائها تنبت كما ينبت الزرع.

وأمّا قراءتها بالراء، (ننشرها)، من الإنشار بمعنى الإحياء، ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَآ شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾(عبس:٢٢)، وقوله تعالى قبلها: ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ ﴾(البقرة:٢٥٩)، فنقول: أنشر الله الموتى فنُشروا إذا حيوا.

أفادت هاتان القراءتان معانٍ تفسيرية، وهي: أنّ العظام كي يحييها الله وينشرها لابدّ من جمع هذه العظام ورفع بعضها إلى بعض بعد أن بليت وصارت ترابًا، فيظهر لنا الإعجاز القرآني بتعدد القراءة للفظة الواحدة، فلو جاءت قراءة النشر فقط لما كان فيها مزيد توضيح وبيان، ولكن الله عدّد القراءات كي يفصّل لنا كيفية الإحياء، بأن يجمع هذه العظام البالية ويرفعها ثمّ يحييها ويلقي الروح فيها، ولو اكتفى المولى عز وجل بقراءة النشز بأن يرفع العظام ويجمع بعضها على بعض لما أعطى لنا معنى الإحياء، وهو المقصود من الآية.

٣ قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر:٣٦)، قرأ حمزة والكسائي ﴿ عِبَادَهُۥ ﴾ بالجمع، وقرأها الباقون ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على الإفراد.

فقراءتها بالإفراد المقصود به النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: أليس الله بكافيك، وأمّا قراءتها بالجمع، فعلى أنّ المراد الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، أي: أليس الله قد كفى الأنبياء من قبلك نوحاً من الغرق، وإبراهيم من النار، ويونس من بطن الحوت، فالله سيكفيك كما كفاهم.

فأفادت القراءتان أنّ الله قد تكفّل بحماية وحفظ عباده جماعات وأفراد، فحفظ الأنبياء من قبل والذين آمنوا معهم، كما أنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد حفظ النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا معه، وهكذا كلّ من سار على نهج الأنبياء يكون بحفظ الله ورعايته.

٤ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(محمد:٤)، قرأ أبو عمرو وحفص (قُتِلوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف على البناء للمجهول، وقرأها الباقون (قاتلوا) بفتح القاف وألف بعدها وفتح التاء على البناء للفاعل.

فقراءتها (قاتلوا) أعم وأشمل؛ لأنّ الثواب يشمل كل من شارك في القتال، قُتل أم لم يُقتل، وأمّا قراءتها (قُتِلوا) فإنّها خاصة بالمقتولين فقط.

قال مكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٣٧هـ) في قراءة (قُتِلوا): (وفي هذه القراءة قوة وزيادة معنى؛

وذلك أنّ من قُتِل في سبيل الله لم يُقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله ثم القتل، فكل من قُتل في قتال في سبيل الله فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِل).

فأفادت القراءتان أنّ الله وعد كلّ من قاتل في سبيل الله بالمثوبة والجزاء، وأنّه لن يضيّع أعمالهم سواء قُتل أم لم يُقتل.

٥ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ (المائدة:٦).

قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي (وأرجلَكم) بالنصب، وقرأها أبو عمرو وابن كثير وشعبة وحمزة (وأرجلِكم) بالخفض.

فوجه قراءة الجر من أوجه:

الأول: أنَّها معطوفة على الرؤوس؛ لأنَّها أقرب من الوجوه والأيدي، والعاملان إذا اجتمعا، يحمل الكلام إلى الأقرب منها دون الأبعد فهي كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾ (الجن:٧)، فأعملت ظننتم في (أن) دون (ظنّوا) لقربها، فلو أعمل (ظنوا) لقال: (كما ظننتموه)، وأمثاله في القرآن كثير.

ومسح الأرجل هنا في قراءة الخفض ليس المراد به المسح نفسه بالنسبة للرأس خطوطًا بالأصابع، ولكن المراد به الغسل حقيقة، أو أن المراد الغسل الخفيف، وقد ورد ذلك في كلام العرب من نحو قولهم: (تمسحت للصلاة)، أي: توضأت لها.

كما وردت أحاديث صحيحة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تؤكد على الغسل في الرجلين، منها ما ثبت عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تخلّف النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنّا في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: (**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**) مرتين أو ثلاثاً.

وأيضاً ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه رأى قوماً يتوضؤون من الْمَطهرة، فقال: أسبغوا الوضوء، فأني سمعت أبا القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:(**وَيْلٌ لِلْعَرَاقِيبِ مِنَ النَّارِ**).

وأيضًا أن التحديد جاء في المغسول بقوله في الأيدي: (إلى المرفقين)، وكرره أيضًا في الأرجل فقال: (إلى الكعبين)، فيحمل هنا على اللفظ والمعنى.

الثاني: ما قاله الأخفش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢١٥هـ): (ويجوز الجر على الإتباع، وهو في المعنى: (الغسل) نحو: هذا جحر ضبٍ خربٍ). ثم قال: (ومثله قول العرب: أكلت خبزًا ولبنًا واللبن لا يؤكل [إنّما يُشرب]).

الثالث: أن يكون جرّ الأرجل على تقدير جارٍ محذوف، وتقدير الكلام: وافعلوا بأرجلكم غسلًا.

وأمّا قراءتها بالنصب، فبعطفها على الوجوه والأيدي، فيكون معنى الغسل ظاهرًا في هذه القراءة.

٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾(البقرة:٢٢٢)، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص كلمة (يَطْهُرْن) بسكون الطاء وضمّ الهاء، وقرأها شعبة وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بالفتح فتصبح: (يَطَّهَّرْن).

فقراءتها بالتخفيف تدل على طهارة المرأة بانقطاع الدم، فيحل وطؤها قبل الاغتسال.

وأمّا قراءتها بالتشديد تدل على الطهارة الكاملة بانقطاع الدم وبالاغتسال، فالمرأة وإن انقطع عنها الدم فهي في حكم الحائض ما لم تغتسل، ويؤكد ذلك قوله تعالى بعدها مباشرة: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، أي: بالماء، فأفادت قراءة التشديد بوجوب الغُسل قبل قُربان الحائض، ورفعت توهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإن لم تطهر بالماء.

وهذا مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة، بخلاف الأحناف إذ أنّهم أجازوا لها الوطء بمجرد انقطاع الدم وإن لم تغتسل، وهذا فيما إذا انقطع لأكثره وهو عشرة أيام عندهم، أو انقطع على عادة المرأة، أمّا إذا كان الانقطاع بأقل من عشرة أيام، أو على غير العادة فهي في حكم الحائض وان اغتسلت؛ لأنّه عدّ المرأة التي انقطع دمها بمثابة المرأة الجنب التي يباح لزوجها وطؤها وإن لم تغتسل.

٧ قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾(النساء:٤٣)، قرأ حمزة والكسائي (لمستم) بحذف الألف، وقرأها الباقون بإثبات الألف (لامستم)، ومثلها في الحكم قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾(المائدة:٦).

فقراءتها بدون ألف تكون من إضافة الفعل والخطاب للرجال دون النساء: والمراد به: مس اليد الجسد، فالفعل يكون من واحد، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ (آل عمران:٤٧)، ولم يقل لم يماسسني، وقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾(الرحمن:٥٦)، ولم يقل: يطامثهنَّ، وقد أورد مكي عن ابن مسعود، وابن عمر وآخرون أنّهم قالوا: (أنّ اللمس في هذا الإفضاء باليد إلى الجسد).

وأمّا قراءتها بالألف فهو من المفاعلة التي لا تكون إلا بين اثنين، والمراد به الجماع؛ لأنّه لا يكون إلا من اثنين، يقال: جامعت المرأة ولا يقال جمعت المرأة، ويجوز أن تكون من الواحد كـ(عاقبت اللص).

وعلى هاتين القراءتين اختلف الفقهاء رحمهم الله في معنى اللمس في هاتين الآيتين، أيكون اللمس هو الجماع أم هو الجس باليد؟

ذهب الشافعية إلى أنّ اللمس هو الجس باليد، فمن مسّ امرأة أجنبية من غير حائل ناقض للوضوء، ووافقهم الحنابلة في أحد القولين، والمالكية إلا أنّهم فرقوا بين اللمس بشهوة واللمس بغير شهوة، فما كان بشهوة فهو ناقض للوضوء، وإلا فلا.

وذهب الأحناف إلى أنّ اللمس هنا بمعنى الجماع، فمن لمس امرأة جسًا باليد فليس بناقض للوضوء.

وكلا الخلافين محتمل لاختلاف القراءة في (لمستم، ولامستم) على ما قدمنا في معنيهما، وللفقهاء أدلة نقلية مبسوطة في كتب الفقه استدلوا بها، وبنوا عليها هذا الحكم الفقهي إضافة إلى اختلاف القراءة في هذه الكلمة.

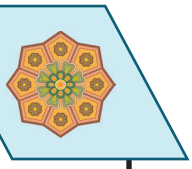

أسئلة المناقشة

س١ : وضّح الأثر المعنوي في قراءة رفع (آدم) ونصبها عند قوله تعالى:
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

س٢ : كيف تجمع بين قراءة (ننشرها) و(ننشزها)؟

س٣ : في قراءة (عبده) و (عباده) فائدة تفسيرية وضحها.

س٤ : قراءة الجر في (وأرجلِكم) تثبت جواز المسح عليها فقط! ناقش ذلك.

س٥ : بيّن الأثر الفقهي في قراءة (يَطْهُرْن) و(يَطَّهَّرْن).

س٦ : اشرح خلاف القراءتين في لامستم، ثمّ بيّن الأثر الفقهي فيها.

أثر القراءات في النحو والصرف

١ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾(البقرة:٢٤٩)، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (غَرفة) بفتح الغين، وقرأها الباقون بضم الغين.

فقراءتها بالفتح على أنّه مصدر فهو للمرة الواحدة، والمفعول به محذوف وتقديره: إلا من اغترف ماءً غَرفة.

وأمّا قراءة الضمّ فعلى أنّه اسم للإناء الذي يغترف به فالفعل تعدى إلى المفعول به وهو الغرفة، فتكون قراءة الفتح أي باليد، وقراءة الضم في الإناء.

٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(آل عمران:١٩)، قرأ الكسائي بفتح الهمزة فتصبح:(أنَّ)، وقرأها الباقون (إنَّ) بكسر الهمزة منها.

فقراءتها بالكسر على إنّها جملة استئنافية وأن الكلام الذي قبلها قد تم معناه.

وأمّا قراءتها بالفتح على إنّه بدل تقديره: شهد الله أنّه لا إله إلا هو وبأنّ الدين عند الله الإسلام؛ فيكون من باب البدل الذي الشيء فيه هوَ هوَ، أو يكون بدل اشتمال؛ لأن الدين مشتمل على التوحيد أيضًا، أو يكون بدلًا من (القسط)؛ لأن الدين هو الإسلام، والإسلام هو قسط وعدل بلا منازع.

٣ قوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾(يونس:٣٥)، قرأ قالون بخلف عنه وأبو عمرو (يَهَدِّي) بفتح الياء واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال، وقرأها حمزة الكسائي (يَهْدي) بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال، وقرأها حفص (لا يَهِدِّي) بكسر الهاء.

فقراءتها (يَهَدِّي) على أنّ أصلها (يهتدي) على وزن (يفتعل)، فأدغمت التاء في الدال؛ لتقاربهما في المخرج، فصار حرفًا مشددًا، وبعد التشديد التقى ساكنان الهاء والتاء

المدغمة، فاختلس للهاء الساكنة فتحة التاء المدغمة للتخلص من التقاء الساكنين.

وأما قراءتها بتخفيف الدال وسكون الهاء (يهْدي)؛ على أنّه مضارع من: (هدى يهْدي)، على وزن (يفعِل) فيكون المفعول به محذوف تقديره: أمّن لا يهدي غيره إلاّ أن يهدى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠هـ): (فتأويل الكلام إذًا: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتَّبَع؛ أمّن لا يهتدي إلى شيء إلاّ أن يهدى).

وزاد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله: (ومعناه: أن الله وحده هو الذي يهدي للحق، بما ركّب في المكلفين من العقول، وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم، ووقّفهم على الشرائع، فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة، والمسيح، وعزير، يهدي إلى الحق مثل هداية الله، ثم قال: أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالإتباع، أم الذي لا يَهِدِّي، أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيره إلاّ أن يهديه الله).

ثم قال: (وقيل معناه: أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلاّ أن يهدى إلاّ أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء، إلاّ أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانًا مكلفًا فيهديه).

فيتبين لنا من كلام الزمخشري: أن المقصود بـ(أمّن لا يهدي) هو إما أن يكون: الملائكة أو عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو عزير، أو أي مخلوق من عباد الله الصالحين؛ لأن هؤلاء قد عُبدوا من دون الله، فيذكر الله تعالى بأنهم وإن كانوا صالحين أو أنبياء أو مقربين، فإنّهم لا يملكون بأي حال من الأحوال هداية أحد، أو حتى هداية أنفسهم إلا بعد مشيئة الله تعالى، وقد يكون المقصود هم الأصنام التي لا تعقل ولا تستطيع التحرك من مكانها إلاّ أن يحركها أحد، فيذكّر الله تعالى بأنّه الوحيد المستحق لأن يعبد، وما سواه هم تحت مشيئته وإرادته، ولا يملكون من أمر الخلائق شيئًا إلاّ بأمره تعالى وتقديره.

أمّا قراءة حفص (لا يَهِدِّي) على أنّ أصلها (يهتدي) على وزن (يفتعل)، فأدغمت التاء في الدال؛ لتقاربهما في المخرج، فصار حرفًا مشددًا، وبعد التشديد التقى ساكنان الهاء والتاء المدغمة، فكُسرت الهاء لالتقاء الساكنين.

٤ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (يس: ٣٩).

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (والقمرُ) بالرفع، وقرأ الباقون (والقمرَ) بالنصب.

فقراءته بالرفع على أنّه مبتدأ، و﴿ قَدَّرْنَٰهُ ﴾ في محل رفع خبره، وأمّا قراءته بالنصب؛ فعلى تقدير فعل محذوف تقديره: وقدّرنا القمر، ثم فسّر بقوله: ﴿ قَدَّرْنَٰهُ ﴾.

٥ قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾، قرأ حفص (حمالةَ) بالنصب، وقرأ الباقون (حمّالةُ) بالرفع.

فقراءتها بالنصب على الذم والشتم؛ لأنّها اشتهرت بالنميمة، على تقدير أعني حمالةَ الحطب.

وعلى قراءتها بالرفع تحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أنّها صفة لامرأته.

الثاني: أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي حمّالةُ.

الثالث: أن ﴿ ٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ مرفوعة بالابتداء، و(حمالةُ) خبرها.

قال ابن غلبون (ت ٣٩٩هـ): (فمن رفع لم يبتدئ بقوله: ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ سواء جعله نعتاً للمرأة، أو خبراً عنها؛ لأنّه متعلق بما قبله، فلم يتم الكلام دونه).

٦ قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس:٣٥).

قرأها شعبة وحمزة والكسائي (وما عملت) بغير هاء، والباقون (وما عملته) بالهاء.

فقراءتها بدون (هاء) على أن (ما) موصولة بمعنى الذي، وضميرها قد حذف للتخفيف والاختصار، وله نظائر في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ

رَسُولًا ﴾ (الفرقان:٤١)، فقال: ﴿ بَعَثَ ﴾ ولم يقل: ﴿ بَعَثَهُۥ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:٢٥٣)، ولم يقل : ﴿ كَلَّمَهُۥ ﴾.

وهذه الهاء تكون فضلة في الكلام من الممكن الاستغناء عنها.

ويجوز أن تكون (ما) هنا نافية لا صلة لها، فيكون حرفًا لا محل له من الإعراب، فيكون تقدير الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم.

وأمّا قراءتها ﴿ عَمِلَتْهُ ﴾ بالهاء، فتكون (ما) موصولة بمعنى الذي، و﴿ عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ صلتها ولم تحذف الهاء على الأصل فيها، ويجوز أن تكون (ما) نافية، والهاء تعود إلى الثمر، فيكون المعنى: أنّهم وجدوها معمولة ولا دخل لهم في صنعها، ولم تدخل أيديهم بإيجادها.

أسئلة المناقشة

س١: وجه قراءة كسر وفتح (إن) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

س٢: بيّن الوجه الصرفي في قراءة (يهدي) الثلاث.

س٣: وضّح اختلاف الإعراب في قراءة (والقمر قدرناه منازل) بين الرفع والنصب.

س٤: في كلمة (حمالة) قراءتان اكرهما مع بيان توجيههما.

س٥: بيّن أثر إثبات الهاء وحذفها على (ما) عند قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾.

أثر القراءات في العقيدة

١ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾(آل عمران:١١٠)، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة (تفعلوا) و(تكفروه) بتاء الخطاب بردّه على قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(آل عمران:١١٠)، إذ أنّ الخطاب فيها بالتاء، وقرأها حفص وحمزة والكسائي بياء الغيبة وحجته قوله تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران:١١٣-١١٤)، إذ أنّ الخطاب فيها بياء الغيبة جميعاً.

وفي خلاف القراءات هنا مسألة عقديّة، وهي أنّ الكافر إذا عمل عملًا حسنًا ثمّ أسلم فإنّ الله يكتب له ذلك العمل الذي عمله قبل الإسلام.

فقد أخرج البخاري عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: (ما من عبدٍ يسلم فيحسن إسلامه إلّا كتب الله له كل حسنة زلفها، ومحا عنه كلّ سيئة زلفها).

وأخرج البخاري أيضًا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ**).

واستبعد بعض العلماء قبول العمل الصالح من الكافر الصادر منه في شركه؛ لأنّ من شرط المتقرّب أن يكون عارفًا لمن يتقرب إليه، والكافر لا يتقرب بعمله لله.

إلا أنّ الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ استبعد ذلك وقرّر أنّ الصواب الذي عليه المحققون والذي نقل بعضهم فيه الإجماع أن الكافر إذا فعل أفعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام فإن ثواب ذلك يكتب له، وأمّا دعوى أنّه مخالف للقواعد فغير مُسلّم؛ لأنّه قد يعتد ببعض أفعال الكافر في الدنيا ككفارة الظهار فإنّه لا يلزمه إعادتها إذا أسلم وتجزؤه.

٢ قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ﴾(المائدة:١١٢)، قرأ الكسائي (تستطيع) بتاء الخطاب، ونصب الباء من (ربك)، وقرأها الباقون (يستطيع) بياء الغيبة وبرفع الباء من (ربك).

والظاهر من قراءتها بالياء أنهم كانوا يشكّون في قدرة الله، وهذا منزلق خطير في العقيدة يؤدي إلى الكفر، ولكن الأمر غير ذلك؛ لأنّهم كانوا مؤمنين بالله؛ ولكن السؤال كان على تقدير: هل يفعل ربك ذلك، فهو سؤال لنفي أي شك أو ريبة أو شبهة، لأنّهم قالوا بعدها: ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾(المائدة:١١٣)، فهذا كسؤال سيدنا موسى لربه كيف يحيي الموتى إذ قال له رب العزة: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ (البقرة:٢٦٠).

وأما قراءتها بالتاء فعلى تقدير: هل تستطيع أن تدعوَ ربك وتسأله أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ فهو أيضًا ليس سؤال شك في استطاعته، لكنّه كما تقول لصاحبك: هل تذهب معي؟ وكأنّهم قالوا: إنّك مستطيع فما يمنعك، وهذه الآية تعضد التي قبلها بأنّهم موقنون بقدرة الله على الإنزال، ولكن هنا سألوا عن استطاعة سيدنا عيسى للدعاء والطلب.

٣ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾ (الأنبياء:٨٠).

قرأ ابن عامر وحفص (لتحصنكم) بتاء التأنيث، والفاعل هو الدروع أو الصنعة.

وقرأ شعبة (لنحصنكم) بالنون للتعظيم، والفاعل هو الله عز وجل.

وقرأ الباقون (ليحصنكم) بالياء، يحتمل يكون الفاعل هو الله تعالى، أو داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

فنلحظ هنا أنّ القراءات تنوعت في نسبة الفعل للفاعل، فتارة تنسبه للعبد، وتارة تنسبه لله عز وجل، فنخلص من هذا التنوّع إلى مسألة العقديّة هي: أنّ نسبة الفعل إلى العبد باعتبار أنّه فعل ذلك الفعل، ونسبته إلى الله بأنّه هو خالق العبد وخالق فعلَ العبد.

٤ قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (الصافات:١٢).

قرأها حمزة والكسائي (عجبتُ) بضمّها، وقرأها الباقون ﴿ عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء.

فقراءتها بالضم على أن الضمير راجع إلى الله عزّ وجلّ، ومعناه: عظم عندي، وكبر كفرهم بآياتي، واتخاذهم شركاء من دوني، وهم مع ذلك يسخرون.

والعجب صفة ثابتة من صفات الله الفعلية. وقد ثبت في السنّة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ**) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً قال: أتى رجل إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ألا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هذه اللَّيْلَةَ**) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تدخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلاّ قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ**).

وعن عقبة ابن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ من الشابِّ ليست له صَبْوَةٌ**).

والعجب من الله تعالى ليس كالعجب من البشر؛ لأنَّ عجب البشر يكون على ما لم يكن في علمه، ولم يكن في الحسبان، فعندما ظهر له تعجّب وانبهر، والله تعالى منزّه عن ذلك بل له عجب يليق بجلاله، أو على ما قدمناه من توجيه لمعناه في هذه الآية.

وقال مكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٤٣٧هـ): (وحجة من ضم التاء أنّه ردّ العجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقرّين بالبعث، وعلى ذلك أتى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ (الرعد:٥)، أي: (فعجب قولهم عندكم وفيما تفعلون).

وقيل: إنّ الضمير يرجع إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقدير الكلام: قل يا محمد بل عجبتُ.

وأمّا قراءتها بالفتح فتكون خطاباً للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون المعنى: بل عجبت يا محمد من إنكارهم للبعث مع وجود الدلائل الواضحة ونزول الوحي عليك وهم يسخرون.

٥ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ (الطور:٢١)، قرأ أبو عمرو (وأتْبعناهم ذرياتِهم) بهمزة قطع وسكون التاء والعين، ونون بعدها ألف، وقرأها الباقون ﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ﴾ بهمزة وصل وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين وتاء مفتوحة بعدها، ولهم في ذريتهم الجمع والإفراد.

فقراءتها بالهمز يكون الفعل مضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك لمن كان صغيرًا لا يعقل الإسلام، ولكن جعل الله له حكم أبيه لفضله في الدنيا بإيمانه.

وأمّا قراءتها بهمزة الوصل يكون الفعل مضافًا إلى الذرّية فتكون هي التي اتبعت، فيقتضي أن تكون الذرية مستقلة بنفسها تعقل الإيمان وتتلفظ به.

فيكون المعنى من وجهين:

الأول: ألحقنا بهم ذرياتهم من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا أعمال آبائهم تكرمة من الله تعالى لآبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم.

الثاني: ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان، فأولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء؛ لأن الولد يحكم له بالإسلام تبعًا لوالده.

وفي قراءة أبي عمرو مسألة عَقديّة، وهي أنّ الصبيّ إذا أسلم وأبواه كافرين، أو أحدهما مسلم والآخر كافر؛ فإنّه إذا أسلم، أو أسلم أبوه، أو أسلمت أمه فإنّه يُلحق بالمسلم منهما، بدليل قراءة (وأتْبعناهم ذرياتِهم).

ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كنت أنا وأمّي من المستضعفين من المؤمنين) وذلك أن أمَّه أسلمت ولم يسلم العباس، فاتبع أمَّه في الدين، وكان لأجلها من المؤمنين.

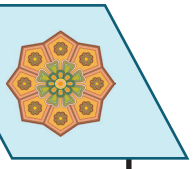

أسئلة المناقشة

س١: هل في قراءة (هل يستطيع ربك) شك في قدرة الله؟ وضح ذلك.

س٢: اذكر أقوال العلماء في توجيه قراءة الرفع عند قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾

س٣: لمن يرجع الضمير في قراءة النصب في كلمة (عجبت).

س٤: هل يلحق الطفل الصغير بأبيه في الجنة؟ وضح ذلك بذكر خلاف القراءات فيها.

الوحـــدة الرابعة

القراءات القرانية وعلاقتها برسم المصحف والوقف والابتداء

بعد الإنتهاء من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادراً على أنْ:

١. يذكر أثر الخلاف في حذف ألف (واعدنا) من المصحف.
٢. يفهم اختلاف القرّاء في إثبات ألف (أنا) للغات العرب.
٣. يعلل اختلاف الرسم في كلمة (الأيكة).
٤. يوجّه خلاف القرّاء في الوقف على (رحمت) المرسومة تاءً.
٥. يعرّف الوقف والابتداء.
٦. يعدد أنواع الوقف.
٧. يبيّن مكان الوقف بين قراءة (وَلَا تُسْـَٔلُ) بالجزم والرفع.
٨. يوضّح أثر خلاف القرّاء على الوقف بفتح الخاء وكسرها في (وَٱتَّخِذُواْ).
٩. يذكر مكان الوقف على قراءة (نكفرْ) بالجزم.
١٠. يوضح عود الكلام بقراءة (وضعت) بين الإسكان والرفع واثره على الوقف.

القراءات ورسم المصحف

درست -عزيزي الطالب- علم رسم المصحف، وعرفت قواعده، وستعرف في هذا الدرس العلاقة الوثيقة بين علم القراءات ورسم المصحف وتوجيه ذلك.

١ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ ﴾ (البقرة:٥١) قرأها أبو عمرو بحذف الألف من لفظ (واعدنا) أي: (وعدنا)، والباقون بإثباتها، فحذفت الألف في رسم المصحف إشارة لقراءة الحذف.

وعلّة من قرأ بالحذف أن الوعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعده لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأيضًا فإن المفاعلة أكثر ما تكون بين اثنين من البشر، والوعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده كان لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهو منفرد بالوعد والوعيد.

أمّا علّة من قرأ بالألف (واعدنا) أنَّه جعل المواعدة من الله ومن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعد الله موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويناجيه، ووعد موسى الله المسير لما أمره به.

٢ قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة:٢٥٨)، ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (الأعراف:١٨٨)، ﴿ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ (يوسف:٦٩).

ألف (أنا) تحذف وصلًا وثبت وقفًا للقرّاء إلّا أنّ نافع أثبتها قبل الهمزة والمفتوحة والمضمومة، ولقالون الخُلف قبل الهمزة المكسورة، وهي ثابتة في رسم المصحف، وهي من الأحرف الزائدة في الرسم.

وإثبات الألف وحذفها من لفظ (أنا) في الوصل لغتان جمع بينها القراء، وهي لغة فاشية للعرب، ولغة تميم في إثباتها وصلًا، ووجه ذلك أن (هذه الكلمة هي ضمير المتكلّم، والاسم منها هو الهمزة والنون فحسب، فأما الألف التي بعد النون فإنّها

ألحقت حالة الوقف ليوقف عليها، وليبقى آخر الاسم على حركته).

٣ قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾(الحجر:٧٨)، ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖ ﴾(ق:١٤)، رسمت كلمة الأيكة في هذين الموضعين بهمزة وصل ولام وهمزة بعدها، بينما رسمت في موضعي الشعراء و(ص) بدون همزة وصل وألف، نحو: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (الشعراء:١٧٦)، ﴿ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ﴾ (ص:١٣).

اختلف القرّاء في موضعي الشعراء وص، فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتاء التأنيث وإسقاط الهمزة، هكذا: (لَيْكَةَ)، موافقة لرسم المصحف، وقرأ الباقون بسكون اللام وهمزة بعدها وكسر تاء التأنيث، (لَئْيَكَةِ)، أمّا عند الابتداء يتبدأ بهمزة قطع مفتوحة.

فقراءة نافع ومن معه (لَيْكَةَ)، أنّه خفّف الهمزة بالنقل، وجعلها ممنوعة من الصرف للتعريف والتنكير، إذ أنّها اسم للبلدة.

أمّا وجه صرفها في سورتي (الحجر)، و(ق) وجرّها بالكسرة؛ على أنّها اسم نكرة لموضع فيه شجر (أيكة)، ثمّ أدخلت عليها الألف واللام فصارت (الأيكة).

والأيكة: هي الشجر الكثيف الملتف، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كانوا أصحاب غياض ورياض وشجر مثمر، وجمعها (أيك) وهي مجموعة من الشجر.

٤ قوله تعالى: ﴿ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾(آل عمران:١٠٧) ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾(الأعراف:٥٦)، نلحظ من الآيتين أنّ كلمة رحمة مرة كتبت بالتاء المربوطة وأخرى بتاء مفتوحة، فيقف القرّاء كلّهم على التاء المربوطة بالهاء، لكن اختلفوا في التاء المفتوحة، فابن كثير وأبو عمرو والكسائي يقفون بالهاء؛ إجراءً لهاء التأنيث على سنن واحد، وهي لغة قريش، ووقف الباقون بالتاء موافقة لرسم المصحف فهي مكتوبة تاء.

والوقف على هاء التأنيث بالتاء لغة طيء، يقولون: حمزت وطلحت، وفي هذا انتصار لما ذهب إليه البصريون كسيبويه وغيره، أن التاء هي الأصل، وقد روي (أنهم نادوا يوم اليمامة: يا أصحاب سورة البقرت، فقال طائي منهم: أحمد الله ما معي منها آيت).

وأنشد أبو النجم العجلي:

من بَعْدِمـــا وبَعْدِمـــا وبَعْدِمَـــتْ ... اللَّهُ نَجَّـــــاكَ بَكفَّـــي مَسْلِمَـــتْ

وكادتِ الحُـــرَّةُ أن تُدْعَى أَمَـــتْ ... صارت نفوسُ القوم عند الغَلْصَمَتْ

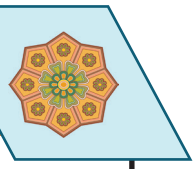

أسئلة المناقشة

س١: بيّن الفرق بين قراءة (وعدنا) و(واعدنا).

س٢: لماذا زيدت الألف في كلمة (أنا) ونحن نحذفها وصلًا؟

س٣: علل منع صرف كلمة الأيكة.

س٤: لماذا اختلف موضعي الشعراء و(ص) في رسم كلمة الأيكة؟

س٥: كيف يقف بعض على كلمة رحمت بالتاء؟ علّل ذلك

القراءات والوقف والابتداء

الوقف

الوقف في اللغة: الكف والحبس.

واصطلاحاً: هو قَطْع الصَّوْتِ على الْكَلِمَةِ زَمَنًا يُتَنَفَّسُ فِيهِ عَادَةً بِنِيَّةِ اسْتِئْنَافِ الْقِرَاءَةِ لَا بنية الإعراض عنها، ولا يأتي في وسط كلمة، ولا فيما اتصل رسمًا.

الابتداء

الابتداء في اللغة: أول الشيء.

واصطلاحاً: الشروع في القراءة بعد قطع وانصراف عنها، أو وقف.

أنواع الوقف:

الوقف التام: هو مالم يتعلق بما بعده لفظا ولا معنى، ويحسن الابتداء بما بعده.

الوقف الكافي: هو ما تعلق بما بعده بالمعنى فقط ويحسن الابتداء بما بعده.

الوقف الحسن: هو ما تعلق بما بعده لفظا ومعنى، إلا إنّه أفاد معنى يحسن السكوت عليه، إلا إنّه لا يحسن الابتداء بما بعده.

الوقف القبيح: هو ما تعلق بما بعده لفظا ومعنى، ولم يحسن السكوت عليه، أو أفاد معنى غير مقصود، أو فاسداً.

١ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (البقرة:١١٩).

قرأ نافع (تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على الأمر، وقرأ الباقون (وَلَا تُسْئَلُ) بضم التاء والرفع على الخبر.

فعلى قراءتها بالجزم ينقطع الكلام عمّا قبلها، والواو تكون استئنافية، فيوقف على ما قبلها ويصحّ الابتداء بها.

أمّا على قراءة الرفع إن قدّرنا النفي (ولست تُسألُ) -فأيضًا- يجوز الوقف على ما قبلها، أمّا إذا قدّرنا أن الواو حالية فلا يجوز الوقف على ما قبلها.

٢ قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗاۖ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾(البقرة:١٢٥).

قرأ نافع وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر.

فعلى قراءة فتح الخاء (واتخَذوا) لا يصح الوقف على ما قبلها وهي كلمة (وأمنًا)؛ لأنّك ستفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، إذ لا يصحّ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

إمّا على قراءة (واتخِذوا) بكسر الخاء، تكون جملة استئنافية، فصلت بين فعلين ماضيين الأول: ﴿ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾ والثاني: ﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ ﴾، فيكون الوقف تامًا على (وأمنًا) وهو أولى من الوصل.

٣ قوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (البقرة:٢٧١).

قُرئت كلمة (وَيُكَفِّرُ) ثلاث قراءات:

أ- قرأ نافع وحمزة والكسائي (ونُكفّرْ) بالنون وجزم الراء.

ب- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة (ونُكفّرُ) بالنون ورفع الراء.

ت- قرأ ابن عامر وحفص (وَيُكَفِّرُ) بالياء ورفع الراء.

فعلى قراءتها بالجزم لا يصحّ الوقف على قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾، لأنّه بجزمه (نكفر) عطف على جواب الشرط من قوله: ﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾، ولا يصحّ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

أمّا قراءتها بالرفع فيجوز الوقف على ﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾، إذ تكون الجملة عنئذ استئنافية، ولا فرق في ذلك إن قرئت بالنون أو بالتاء.

٤ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران:٣٦).

قرأ ابن عامر وشعبة (وضعتُ) بضمّ التاء، على أنّ الكلام لامرأة عمران، وقرأها الباقون بإسكان التاء(وَضَعَتۡ)، فيكون الكلام لله عز وجل فهو أعلم بما وضعت.

فعلى قراءتها بالضم لا يوقف على قوله: (وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ)؛ لأنّ الكلام كلّه لأمّ مريم، أمّا على قراءتها بالإسكان يكون الوقف على كلمة (أُنثَىٰ)، وهو كلام أم مريم، ويستأنف بقراءة (وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ) هو كلام الله منقطع انقطاعًا كليًا عن الجملة التي قبلها.

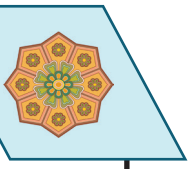

أسئلة المناقشة

س١: عرّف الوقف والابتداء لغة واصطلاحًا.

س٢: عدد أنواع الوقف مع التعريف.

س٣: حدد مكان الوقف على قراءة (واتخِذوا) بكسر الخاء.

س٤: هل يختلف مكان الوقف باختلاف القرّاء في قراءة (يكفر)؟ وضح ذلك.

س٥: بيّن أثر خلاف القرّاء في كلمة (وضعت) على الوقف مع ذكر العلّة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات